مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 19 / العـدد 02 / سبتمبر 2025 / ص ص 63 - 81
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

مانويل كاستلز: مقاربة نقدية في سوسيولوجيا المدينة

Manuel Castells: A critical approach to the sociology of the city

عبد الحليم مهورباشة
مخبر المجتمع الجزائري المعاصر - جامعة سطيف 2 (الجزائر)، a.mahourbacha@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/17 تاريخ القبول: 2025/09/21 تاريخ النشر: 2025/09/30

ملخص:
تهدف هذه الورقة البحثية للوقوف على المقاربة النقدية التي صاغها مانويل كاستلز في سوسولوجيا المدينة، وتسعى إلى تبيين طبيعة النقد الذي وجهه كاستلز للمنظور الايكولوجي لمدرسة شيكاغو في دراسة المدينة الحديثة ونقده للثقافة الحضرية كموضوع للبحث في السوسيولوجيا الحضرية، تناولت مفهوم التحضر باعتباره الإنتاج الاجتماعي لتشكيلات الاجتماعية، وكشفت عن العلاقة بين المسألة الحضرية والسياسات الحضرية وبينت تأثير العوامل السياسية والاقتصادية على تخطيط المدينة، أوضحت الكيفية التي تحولت معها المدينة إلى فضاء للحركات الاحتجاجية الحضرية، وأخيرا، أشرت إلى الدراسات والبحوث الامبريقية التي انجزها كاستلز مختبرا فرضياته ومفاهيمه البحثية.
الكلمات المفتاحية: المدينة، التحضر، الحركات الاحتجاجية الحضرية، الثقافة الحضرية.

ABSTRACT:
This research paper aims to examine the critical approach formulated by Manuel Castells in the sociology of the city, and seeks to clarify the nature of the criticism that Castells directed at the ecological perspective of the Chicago School in studying the modern city, and his criticism of urban culture as a subject of research in urban sociology, and addressed the concept of urbanization as the social production of social formations. The paper also revealed the relationship between the urban issue and urban policies and showed the impact of political and economic factors on city planning. It explained how the city was transformed into a space for urban protest movements, and the research paper referred to the empirical studies and research that Castells completed, testing his hypotheses and research concepts
Keywords: city, urbanization, urban protest movements, urban culture.

1- مقدمة:

تعد المدينة موضوعا بحثيا تتقاسمه تخصصات علمية وحقول معرفية شتى، أُنتجت حولها العديد من المقاربات النظرية؛ التي تناولت أنماطها العمرانية وخصائصها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، من هذا المنطلق، سنعرض اسهام مانويل كاستلز في تأسيس مقاربة نقدية في سوسيولوجيا المدينة[1]، حيث تأثر في بداية مسيرته المعرفية بالفكرة الجوهرية التي طرحها جون ريمي عن المدينة كظاهرة اقتصادية، أشار إلى أن المدينة تتموضع بين المؤسسة والسوق، والتخطيط الحضري ليس أداة لتوفير الراحة

1 اشتهر مانويل كاتسلز في العالم العربي باعتباره باحثا منظرا في مجتمع الشبكات والوسائط الجديدة، فلو قمنا بعملية مسح بيبليوغرافي على شبكة الانترنت لوجدنا عشرات المقالات التي تناول منجزه الاتصالي، بينما يبقى اكبر منجز له في سوسيولوجيا المدينة مغيبا، أو نعثر على بعض الشذرات المكتوبة عن اعماله في الكتب الجامعية في علم الاجتماع، كذلك قلة المقالات والدراسات التي تناولت منجزه النقدي في علم الاجتماع الحضري، رغم انه يعد واحد من مؤسسي الاتجاه النقدي في سوسيولوجيا المدينة .

- المؤلف المرسل: عبد الحليم مهورباشة

https://doi.org/10.34118/ssj.v19i2.4374
http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj/article/view/4374
ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

لساكنة لمدينة بل يسهم في الإنتاج الاقتصادي الرأسمالي (J. Remy 1966)، سيطور كاستلز هذه الرؤية الاقتصادية للمدينة بدمجها بالسوسيولوجيا ليقدم لنا مقاربة نقدية في دراسة المدينة الحديثة.

تأتي الأهمية العلمية لهذا الموضوع في عرض إحدى المقاربات السوسيولوجية النقدية لظاهرة المدينة الحديثة، حيث تنتمي هذه المقاربة إلى الماركسية البنيوية التي طورها العديد من الفلاسفة اليساريين الفرنسيين؛ يأتي في مقدمتهم الفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير (ألتوسير، 1972)، حيث وظف كاستلز الماركسية البنيوية كمنهجية معرفية في مقاربة الظواهر الحضرية التي خبرتها المدن الغربية في الستينات والسبعينات من القرن المنصرم، اشتغل على موضوعات بحثية من قبيل: التحضر، الحركات الاحتجاجية الحضرية، التخطيط الحضري، الاستهلاك الجماعي وأزمة الإسكان الحضري.

تهدف هذه الدراسة، أولا: الكشف عن طبيعة النقد الذي وجهه كاستلز للنظرية الايكولوجية (مدرسة شيكاغو) في دراسة المدينة الحديثة، كاشفا التحيزات الأيديولوجية التي أقامت عليها فرضياتها ومفاهيمها حول التحضر والثقافة الحضرية، كما بيّن أن السوسيولوجيا الحضرية تفتقر إلى موضوع بحثي خالص؛ يُبين هويتها المعرفية ومجال اشتغالها، لأن الثقافة الحضرية التي اعتبرها رواد مدرسة شيكاغو موضوعا لعلم الاجتماع الحضري لا تعدو أن تكون مجموعة مفاهيم مجردة متعالية عن الحس التاريخي والواقعي، ثانيا: توضيح مقاربة كاستلز النقدية لمفهوم التحضر، الذي تم اختزاله في زيادة كثافة وحجم سكان المراكز والتجمعات الحضرية، وطرح بديلا له ممثلا في مفهوم التشكل الاجتماعي للمجال الحضري، مبرزا اختلاف العوامل المسببة لظاهرة التحضر بين المجتمعات الغربية و المجتمعات النامية، ثالثا: تبيين الكيفية التي تحولت معها المدينة فضاء للحركات الاحتجاجية الحضرية وعلاقة هذه الحركات الاحتجاجية بالمشكلات والسياسات الحضرية.

سنتعمد في هذه الدراسة على مسالك منهجية عديدة، يأتي في مقدمتها المنهج التحليلي النقدي، الذي سنوظفه في تحليل المنهجية التي وظفها كاستلز في مقاربته النقدية لسوسيولوجيا المدينة الحديثة، وفي تحليل البدائل المفهومية التي اقترحها لدراسة ظواهر التحضر والحضرية والتخطيط الحضري والحركات الاحتجاجية، كما سنعمد إلى توظيف المنهج الاستقرائي للكشف عن المفاهيم والمقاربات المعرفية التي وظفها في دراساته الميدانية.

بناء على هذا التقديم، سنحاول أن نجيب عن التساؤلات الآتية:

ما طبيعة الانتقادات التي وجهها كاستلز للنظرية الايكولوجية (مدرسة شيكاغو) في علم الاجتماع الحضري؟ وما هو موضوع الدراسة في سوسيولوجيا المدينة من منظور مانويل كاستلز؟ وما مفهوم التحضر؟ وما طبيعة البديل الذي اقترحه لدراسة هذه الظاهرة في المجتمعات الحديثة؟ وما علاقة المسألة الحضرية بالسياسات الحضرية؟ وكيف تحولت المدينة الحديثة إلى فضاء للحركات الاحتجاجية الحضرية ؟

2- نقد النظرية الايكولوجية في دراسة المدينة والظواهر الحضرية:

يرى كاستلز أن المدينة الحديثة عند علماء الاجتماع الرواد أمثال ماركس وفيبر ودوركايم ظلت محكومة بالرؤية الوظيفية، تحولت إلى موضوع للدرس السوسيولوجي مع مدرسة شيكاغو الأمريكية، حيث اعتبر بارك المدينة بمثابة مخبر اجتماعي غني بالظواهر الاجتماعية وقام بدراسة المشكلات الاجتماعية الناتجة عن عدم قدرة الأفراد على الاندماج الاجتماعي في المدينة الحديثة (PARK ,1925)، أسس لمفهوم الثقافة الحضرية الذي طوره لاحقا طالبه لويس ويرث، بينما درس زميله ارنست بيرجس العلاقة بين التطور الاقتصادي و التحولات الاجتماعية والتنظيم المجالي في المدينة الأمريكية؛ مؤسسا لفكرة النمو الحضري من خلال نظرية الدوائر المرتكزة، بينما روروديك ماكنزي فقارب معرفيا المدينة كنسق ايكولوجي (بارك ,1925)محاولا معرفة وظائف المدينة

التنظيمية، وطور دنكان مفهوم الايكولوجيا المركبة، فأنتج نظرية لضبط تغير النسق الاجتماعي انطلاقا من تفاعل أربعة عناصر: البيئة، السكان، التكنولوجيا والنظام المجتمعي (Manuel ,1969, p173).

تم مأسسة علم الاجتماع الحضري عبر بمرحلتين تاريخيتين، المرحلة الأولى: ما بين الحربين العالميتين، أبحاث أشرفت عليها مدرسة شيكاغو؛ تعالج مشكلة الاندماج والتفكك الاجتماعي في المدن الكبرى، وتحاول تفسير نتائج التحضر والنمو الحضري، المرحلة الثانية: ما بعد الحرب العالية الثانية، أبحاث أشرفت عليها جامعة مشيغن، لكن حافظت على نفس خط مدرسة شيكاغو في دراسة الظواهر الحضرية ونشأة الأقاليم الحضرية(Manuel ,1969, p175) .

في عقد الستينات من القرن المنصرم تراجع الانتاج العلمي في السوسيولوجيا الحضرية، ليس بسبب خفة حدة المشكلات الحضرية وإنما بسبب القطيعة بين السوسيولوجيا الحضرية والمشكلات الحضرية، ما يؤشر برأي كاستلز على استعمال عمومي للسوسيولوجيا الحضرية من طرف المؤسسات السياسية، ومن زاوية أخرى، يرى أن المجتمعات الصناعية هي مجتمعات حضرية بالأساس، لذلك علينا أن لا نعالج المشكلات الحضرية كمشكلات متعلقة بالتفكك والاندماج الاجتماعي، بل علينا معالجتها في ضوء التسيير الكلي لعناصر النسق الاجتماعي الحضري، وذلك من خلال دراسة العلاقة التبادلية بين التنظيم المجالي والوسط التكنولوجي، وتدخل القطاع العمومي في تنظيم الاستهلاك الجماعي وتسيير التوترات الاجتماعية الناتجة عن التعبيرات المجالية الناتجة بالأساس عن الإقصاء العرقي والاجتماعي. (Manuel ,1969, p175)

هيمنت الرؤى السوسيولوجية الأمريكية على المدارس الأوربية نظرا لعدة عوامل وأسباب، ذكر منها كاستلز هيمنة المنتجات المعرفية الأميركية بسبب الهيمنة الاقتصادية والسياسية التي تمتعت بها الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى هيمنة سوسيولوجيا حضرية؛ تنهل من الابستيمولوجيا الامبريقية التي أشاعتها مدرسة شيكاغو. كما أن علم الاجتماع الحضري في بريطانيا والدول الاسكندفانية وفرنسا أخذ نفس منحى السوسيولوجيا الحضرية الأمريكية. حتى دراسات شمبارت دي لوي في فرنسا (Lauwe ,1952)، لم تشذ عن هذا المنحى السوسيولوجي، فالخاصية الأخرى التي دونها كاستلز تتمثل في خضوع السوسيولوجيا الحضرية للطلب الاجتماعي في أوربا، وعليه، أصبحت خاضعة لتكنوقراط الدولة. (Manuel ,1969)

يرى كاستلز أن النظرية الايكولوجية تنطلق من فرضية خفية ترتبط بالنظرية الوظيفية في دراسة الأنساق الاجتماعية، فالايكولوجيا من منظور هاولي وماكنيزي تعد مفهوم المجتمع المحلي communauté مفهوما مركزيا، والتنظيم المجالي هو عملية من العلميات الاجتماعية التي تحدد شكل المجتمع المحلي communauté عن طريق التضامن والترابط الاجتماعي، وهنا اقتفى مؤسسي النظرية الايكولوجية أثر النظرية الوظيفية في علم الاجتماع، لذلك النظرية الايكولوجيا لا تحوز موضوعا نظريا خالصا، لأن منظورها مرتبط بالبنية الاجتماعية الكلية للمجتمع.

لا تعد الثقافة الحضرية مجموعة من المفاهيم فقط وإنما تعبر أيديولوجيا عن صيغة من صيغ الاندماج الاجتماعي في المجتمعات الحديثة، فالمفاهيم التي ظلت السوسيولوجيا الحضرية تتناولها وتتبناها تاريخيا كعلم لا تمثل أي خصوصية نظرية، وعليه، علم الاجتماع الحضري لا يملك موضوعا نظريا خالصا، وبالتالي تعاني السوسيولوجيا الحضرية من غياب الحدود الابستيمية لموضوع بحثي واقعي، فالسؤال الذي يُطرح من منظور كاستلز: ما مفهوم الحضري (العمران)؟

يأتي مصطلح الحضري في التيارات السوسيولوجية الحديثة في مقابل مصطلح الريفي، إلا أن معايير التمييز بالنسبة لكاستلز بين المجتمعات الحضرية والمجتمعات الريفية خاطئة معرفيا، فالتنوع في المجتمعات لا يمكن اختزاله إلى هذه الثنائية البسيطة، فهناك اليوم وعيا متزايدا لدى الباحثين بصعوبة استخدام الحضري بمعناه المقابل للريفي، وخاصة ما تعلق بمسألة

التحضر، فلم يعد اليوم هناك فصلا واضحا من الناحية الجغرافية بين الريف والمدينة، وبالتالي يتم التلاعب أيديولوجيا بمصطلح الحضري في الدراسات والبحوث الاجتماعية.

اهتمت مدرسة شيكاغو بالظواهر الاجتماعية في السياق الحضري كظاهرة النمو الحضري السريع في المجتمع الصناعي، واعتبرت أن علم المجتمع هو علم الاجتماع الحضري، ودرست المجتمعات الحضرية باستخدام المقاربات المنهجية المنوغرافية، (المالكي، 2016)، لكن مدرسة شيكاغو من منظور كاستلز لم تهتم بما يحدث داخل المدينة، وإنما كانت تركز على التفكك الاجتماعي و تكيف الأفراد واستمرار الثقافات الفرعية، وبروز ظواهر الانحراف ومقاومة الأفراد للاندماج.

كما أن اهتمام مدرسة شيكاغو بالمدنية الحديثة لم يكن بغرض الكشف عن الحقيقة العلمية، وانما لدراسة تكيف الأفراد مع الثقافة الحضرية، وأفضل من عبر عن هذه الإشكالية لويس ويرث، الذي لا يعتبر المدينة فضاء للتقصي العلمي، بل من يعتبرها من منظوره السوسيولوجي ؛ فضاء للثقافة الحضرية، فمن خلال تحليله متغيرات: الكثافة، والحجم و اللاتجانس الاجتماعي؛ يؤشر على ميلاد ثقافة حضرية، هذه الثقافة تقع على الطرق النقيض من الثقافة الريفية (Wirth ,1938).

وجهت انتقادات حادة من طرف علماء الاجتماع للطابع الأيديولوجي لمفهوم ويرث عن الثقافة الحضرية، فهناك من انتقد أطروحة ويرث من منطلق خلطه بين التصنيع والتحضر، لأن كل ما هو موجود في أطروحة ويرث هو الثقافة الحضرية، وهي ترجمة حرفية للثقافة الصناعية الرأسمالية، وميلاد اقتصاد السوق وعمليات العقلنة في المجتمع الحداثي (Castells ,1968, p76)، لذلك ركز رواد مدرسة شيكاغو على التفكك الاجتماعي كموضوع للبحث العلمي في السوسيولوجيا المدينة، و بالتالي، "لا نسجل هنا أي خصوصية للموضوع العلمي، فالموضوع العلمي غير واضح، ممثلا في عمليات التثاقف في المجتمع الحداثي، وبتعبير آخر التثاقف في المجتمع الأمريكي" (Castells ,1968, p76)، وهنا، لا يوجد موضوع خاص بعلم الاجتماع الحضري، فالاندماج الاجتماعي هو موضوع سوسيولوجي عام وهو لا يساعدنا على التحديد بشكل دقيق مجال الدراسة في علم الاجتماع الحضري.

في هذا السياق، أثبتت نتائج العديد من الدراسات والبحوث الميدانية تناقض أطروحات مدرسة شيكاغو .Lauwe P.-H) C., 1982 ،(، مثلا كشفت الدراسات الميدانية أن الخصائص الاجتماعية هي التي تصنع خصائص المنطقة الحضرية أو السكنية وليس العكس، لذلك الممارسة الأيديولوجية لعلم الاجتماع الحضري التي اتخذت من الثقافة الحضرية موضوعا للبحث العلمي كان بضغط من مؤسسات تسير البحث العلمي الحضري.

المدينة التي نظر لها بيرجس من خلال الدوائر المتراكزة؛ تعبر عن النظر إلى المدينة كمتغير تابع، وهي نتاج الايكولوجيا الحضرية. فهناك العديد من الدراسات الميدانية التي أجريت ومن بينها دراسة شمابرت دي لو التي كشفت عن تناقضات نظرية بيرجس، كما كشفت عن دور العوامل الاجتماعية في تشكل الفضاءات الحضرية، بينما الاتجاه التاريخاني، وهو اتجاه سائد في أوربا وفي فرنسا بشكل أكبر، يرى أن المدينة منتج تاريخي، وهي انعكاس للمجتمع، وهي فعل الإنسان على المجال من أجل بناء السكن الاجتماعي (Castells ,1968, p78) .

تبدأ المشكلة الحقيقية مع تحديد موضوع الدراسة في سوسيولوجيا الحضرية وطبيعة الفرضيات الواجب صياغتها، فإذا قبلنا العلاقة بين العملية الاجتماعية والمجال الحضري، علينا تحديد عندئذ طبيعة خصائص هذه العلاقة، فالمجال الحضري عبارة عن ورقة بيضاء أو فعل اجتماعي؛ يظهر الحوادث في كل مرحلة تاريخية أو ظرف زمني، في المقابل، الفرضية التي تؤكد على أن البناء الاجتماعي للمجال يعادل الفعل المحايد للطبيعة الثقافية في حالة المجتمعات الأولية، لذلك السوسيولوجيا توجد اليوم من خلال فهم العوالم الاجتماعية كمجموعة عناصر مندمجة طبيعيا وأخرى بنائية في بنية موحدة لا يمكن فصلها عن الواقع.

3- نقد موضوع البحث في السوسيولوجيا الحضرية: من سوسيولوجيا المدينة الى سوسيولوجيا المجال الحضري

3-1- نقد موضوع البحث في السوسيولوجيا الحضرية:

استهل مانويل كاستلز مشروعه المعرفي بنقد موضوع البحث في السوسيولوجيا الحضرية، حيث يتم تعريف العلم انطلاقا من وجود موضوع نظري قابل للدراسة العلمية، فموضوع العلم مجموعة من المفاهيم التي تشكل مجموعة موضوعات واقعية؛ نطلق عليها علم، شرط أن تكون قابلة للتحليل العلمي (Manuel ,1969, p171)، بناء على هذا، كل معرفة لا تمتلك موضوعا بحثيا خالصا لا يمكننا اعتبارها علما، وهذا ينطبق إلى حد ما على علم الاجتماع الحضري. كذلك عندما تتم مأسسة المعرفة فإنها تتحول إلى نوع من الجهل، تتحول المعرفة إلى ممارسة أيديولوجية أكثر منها ممارسة تنظيرية، فعادة ما تعطي الأيديولوجيا الشرعية للمعرفة العلمية، على هذا الأساس علم الاجتماع الحضري عبارة عن أيديولوجيا؛ تقوم بأداء وظيفة اجتماعية (Manuel ,1969, p172).

أُعتبرت الثقافة الحضرية الموضوع الرئيسي لعلم الاجتماع الحضري، تتكون من القيم والمعايير والسلوكيات والعادات والآراء، تتمثل بعض خصائصها في: التفاعلات الاجتماعية، العزلة الاجتماعية والفردية، والعلاقات الاجتماعية الثانوية، الخصائص الوظيفية وتقسيم العمل، تتولد هذه الثقافة بسب التحول الاجتماعي من المجتمع الريفي إلى المجتمع الحضري.

وجهت انتقادات حادة لهذه الفرضية القائمة عل فكرة التحول الحتمي من المجتمع المحلي الريفي التقليدي إلى المجتمع الحضري الحداثي، فأثبتت الدراسات الميدانية استمرار العلاقات الاجتماعية الأولية والتضامن الاجتماعي الآلي داخل المجتمعات الحضرية (Yves، 1994)، لذلك يرى كاستلز أن المقاربة الثقافوية لا يمكن أن توصلنا إلى الحقيقة العلمية وإنما فقط معرفة التطور الاجتماعي الذي حدث في المجتمعات الصناعية، وهذا العمل سبقهم إليه معظم آباء السوسيولوجيا كدوركايم و فرديند تونيز وماكس فيبر.

الإشكالية الأخرى، أن مفهوم الحضري الذي تستخدمه نظرية الثقافة الحضرية لا علاقة له بالمجتمعات الأوربية، وإنما هو نتاج الواقع الامبريقي للمدن الأميركية، فيتم تعريف الحضري انطلاقا من المجال الجغرافي الذي أجريت فيه الدراسات الميدانية، حيث تختزل نظرية الثقافة الحضرية المدينة في بعدها الايكولوجي، وهناك أطروحتان تؤسسان معرفيا لنظرية الثقافة الحضرية في السوسيولوجيا الحضرية، هما (Manuel ,1969, p177):

- هناك نسق ثقافي خاص بالمجتمعات الحداثية (المجتمعات الصناعية الرأسمالية)، وتوطين هذه الثقافة يصطدم بمجموعة من المعوقات التي يجب علينا دراساتها، ومعرفة أشكال مقاومة التغيير التي تبديها الثقافات الفرعية داخل المدينة الحديثة.
- هذا النسق الثقافي هو نتاج النسق الايكولوجي، يتحول المجتمع من ريفي إلى حضري بسبب عوامل الحجم والكثافة واللاتجانس، وفي مرحلة تاريخية ما يستطيع المجتمع الحضري أن يفرض قيمه الجديدة على المجتمع الريفي.

ينتقد كاستلز هذه الأطروحة التي حولت مفهوم الثقافة الحضرية إلى موضوع بحثي مركزي في علم الاجتماع الحضري، يرى أن هذا الأمر ممكنا فقط في حالة ما إذا اعتبرنا أن هذا المفهوم يحمل صياغة بنائية نهائية، لأنه من الناحية الواقعية والتاريخية توجد سياقات حضرية مختلفة تماما عن سياق التجربة الحضرية الغربية، وبالتالي لا يمكننا أن نعتبر الثقافة الحضرية موضوعا رئيسا لعلم الاجتماع الحضري، إلا إذا اعتبرنا أن المجتمعات الإنسانية ستلج حتميا إلى الحداثة على شاكلة الحداثة الغربية.

يدعونا كاستلز إلى الكشف عن الطابع الأيديولوجي في علم الاجتماع الحضري، لأننا عندما ندرس الاندماج الاجتماعي في علاقته بالثقافة الحضرية، لا يعطينا هذا الافتراض البحثي أي خصوصية معرفية، أيضا رؤية النظام الاجتماعي من زاوية ايكولوجية؛ يعد رؤية نظرية ضيقة في علم الاجتماع عموما، وكما ذكرنا سابقا، أسس لهذا التوجه رواد مدرسة شيكاغو؛ الذين

درسوا العلاقة بين المتغيرات الثلاث (الحجم، اللاتجانس، الكثافة) والثقافة الحضرية، لذلك اعتبر كاستلز أطروحتهم بسيطة وسطحية مقارنة بالقضايا والمشكلات الجوهرية؛ التي كان من المفترض أن تعالجها السوسيولوجيا الحضرية.

يرى كاستلز أن كل مدينة لديها ثقافة حضرية، أما عملية الربط بين بعض السلوكيات الثقافية والتجمعات الحضرية في المجتمعات الصناعية الحديثة عبارة عن ربط اختزالي، فالتحولات في البينة التقنية- الاجتماعية في المجتمع تقود في مرات معينة إلى ظهور علاقات اجتماعية وأشكال جديدة من التنظيم المجالي، لذلك يمكننا أن نقبل بمفهوم الثقافة الحضرية، لكن المشكل لا يتعلق فقط بغموض المصطلح ولكن بما يتضمن من أيديولوجية ندرس عبرها إنتاج التشكيلات الاجتماعية (Manuel ,1969, p179)، فالثقافة الحضرية ليست مفهوما وإنما عبارة عن أسطورة، لأن علم الاجتماع الحضري المؤسس على الثقافة الحضرية مبني على أيدولوجيا الحداثة الغربية، المتمركزة حول التشكيلات الاجتماعية الرأسمالية الليبرالية.

2-3- من سوسيولوجيا المدينة إلى سوسيولوجيا المجال:

اهتمت الدراسات والبحوث الحضرية بوصف الأشكال الجديدة للتوزيع المجالي للأنشطة والسكان والمؤسسات، ونجد في هذا السياق، الايكولوجيا الحضرية، وفي المقابل، نجد التيار الماركسي التاريخي الذي يمثله هنري لوفيبر، حيث تنقسم هذه الدراسات إلى توجهين رئيسين، الأول: يعتبر المجال بمثابة موضوع للتحليل العلمي، والثاني: ينظر للعلاقة بين المجتمع والمجال (Lefebvre ,1970).

تدرس سوسيولوجا المدينة المجال الحضري؛ الذي يظهر كعملية للاستهلاك الجماعي (Manuel ,1969, p183)، العلاقة مع المجال يقصد بها التموضع الحقيقي للعنصر المادي للمجال مع مجموعة العناصر الأخرى المشكلة للبنية الاجتماعية، وهذا ما يجب أن يكون في صلب التحليل السوسيولوجي، دراسة عمليات التحضر وتحولات العناصر البنائية والعلميات الاجتماعية بالمقارنة بالوحدة المجالية المعطاة. وهنا، لاحظ كاستلز أن النظرية الإيكولوجية تستبعد هذه الموضوعات الحقيقة، ما يمنعها من الوصول إلى صياغة نظرية واقعية، وبسبب التحيزات الأيديولوجية استبعدت موضوع المجال الحضري، وعليه، السوسيولوجا الحضرية لا تملك موضوعا حقيقيا، ووحدة هذا لتخصص المعرفي المؤسساتية لا تأتي من عمله النظري ولكن من وظيفته الأيديولوجية.

ومن هذا المنطلق، الثقافة الحضرية هي مجموعة مفاهيم وليس مفهوما واقعيا، بينما المجال الحضري مفهوم واقعي حقيقي، وعليه، يرى كاستلز أن المجال هو موضوع الدراسة في علم الاجتماع الحضري، فالعلاقة بين المجتمع والمجال لا يقصد بها انعكاس المجتمع على المجال، فالمجال حامل للأنشطة الإنسانية، وهو عنصر مادي، وبالتالي، المجتمع لا يقع خارج المجال، علينا أن نبحث عن تموضع المجال مع بقية العناصر المشكلة للنظام الاجتماعي، مثلا تشكل الأقاليم الميتربولتية في المجتمعات الصناعية لا يعتبر انعكاسا لمجتمع الجمهور، لكنه تعبير مجالي عن مستوى علميات تركز التسيير ولامركزية التنفيذ، وكذلك في عمليات الإنتاج والاستهلاك (Manuel ,1969, p180).

يتطلب تحليل التشكيلات الاجتماعية في المجال الحضري إعادة بناء البنيات الدالة على العلاقة بين العناصر المادية المشكلة لمجتمع ما في المجال، المجال من هذا المنطلق مدمج في هذه البنية(Manuel ,1969, p181)، إذا اعتبرنا أن المجال كعنصر مادي للوجود الإنساني، فإنه لا يقودنا بالضرورة إلى تصور نظري مستقل ولكنه يميط اللثام عن العلاقة بين المجتمع والمجال.

يؤكد كاستلز على أن دراسة المجال وعمليات الاستهلاك الجماعي؛ تقودنا إلى تأسيس حقل معرفي جديد يختلف عن علم الاجتماع الحضري؛ الذي أسسته مدرسة شيكاغو، والأمر ممكنا من خلال إعادة تعريف المشكلات الحقيقة واكتشاف حقائق

داخل الحقل الأيديولوجي الموسوم بالسوسيولوجيا الحضرية (Manuel ,1969, p184)، وهذا يقودنا إلى طرح تساؤلات: ما المقصود بسوسيولوجيا الإنتاج الاجتماعي للمجال؟ وما المقصود بسوسيولوجيا إنتاج الأشكال الاجتماعية للإستهلاك الجماعي؟

يعد المجال بمثابة ورقة بيضاء يسجل فعل الجماعات الاجتماعية، فالمجال يتم بناؤه من طرف الفاعلين الاجتماعين، حيث يتمثل التحدي النظري في كيفية تجاوز مشكلة دراسة المجال (Manuel ,1969, p185)، علينا من منظور كاستلز تحليل تحولات المجال مثلما نحلل تحولات البينة الاجتماعية، فالبنية الاجتماعية عبارة عن عمليات اجتماعية ومجموعة من العناصر المتبادلة، والنظام الحضري هو المقابل للبينة الاجتماعية، يتشكل من أربعة عناصر: الإنتاج، الاستهلاك، التبادل، التسيير والتدبير.

هذه العناصر عبارة عمليات اجتماعية وليست عناصر جامدة، يتدخل الفاعلون الاجتماعيون عن طريق العناصر المادية للتركيب بين هذه العناصر، يركز التحليل السوسيولوجي على دور التخطيط الحضري في انتاج المجال الحضري، والتخطيط هو عبارة عن تدخل من طرف المؤسسات الدولة، طبعا دون إغفال الاهتمام بالعلاقات مع بقية العناصر الأخرى المشكلة للنظام الحضري، لذلك يتمثل الدور الحقيقي للسوسيولوجيا الحضرية في التحليل التاريخي للتخطيط الحضري (Manuel ,1969, p189).

3-3- الطلب الاجتماعي على السوسيولوجيا الحضرية وسؤال العلمية:

هناك فروعا في علم الاجتماع أصبح عليها طلبا اجتماعيا متزايدا في فرنسا، وفي مقدمتها علم الاجتماع الحضري، الذي يهتم بدراسة المشكلات الحضرية الناجمة عن النمو الحضري، فخضع تطور السوسيولوجيا الحضرية في فرنسا بشكل مشابه للسوسيولوجيا الأنجلوساكسونية، مع تباين وانقسام كبير في الموضوعات (Castells ,1968, p72)، فهناك العديد من الدراسات الاقتصادية والتقنية والعمرانية التي اهتمت بتهيئة المجال الحضري، واهتمت الدراسات السوسيولوجية بدراسة التحضر من زاوية ديمغرافية، كما قامت بدراسة التفكك الاجتماعي والتثاقف من منظور مدرسة شيكاغو، في حين اهتمت بعض الدراسات الحديثة بدراسة المجتمع المحلي الحضري.

يرى كاستلز أننا إذا اعتبرنا أن المجتمع الحضري كموضوع للدراسات السوسيولوجية، فهذا يعني إخضاع المجتمع كليا للدراسة العلمية، وبالتالي، لا توجد حدود فاصلة بين علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع الحضري، وإذا اعتبرنا المدينة موضوعا لعلم الاجتماع الحضري، فإن هذه المدينة كما يرى مترندال بدأت تختفي مما يعني اختفاء آليا موضوع علم الاجتماع الحضري، وهذا برأي كاستلز لا يعني مطلقا انعدام الخيال السوسيولوجي لدى الباحثين، وإنما نواجه مشكلة حقيقة في تحديد موضوع السوسيولوجيا الحضرية، وهنا المشكل ليس اكاديميا، فالسؤال الذي طرحه كاستلز: هل فعلا ما تمت دراسته في فرنسا يعد سوسيولوجيا حضرية؟

اهتمت السوسيولوجيا الفرنسية بالمشكلات الحضرية في الستينات من القرن المنصرم، فطرح كاستلز سؤالا: هل تعبر هذه الدراسات السوسيولوجية عن توجهات نظرية جديدة في السوسيولوجيا الحضرية الفرنسية؟ أم أنها تعبر عن إفلاس فكري؟ للإجابة عن هذا السؤال قام كاستلز بتحليل مضمون المقالات والأبحاث التي نشرت في المجالات المهتمة بالمدينة بالاعتماد على معيارين أساسين: الإطار النظري لكل بحث اجتماعي وكيفية وصفه البناء الاجتماعي الحضري، وخلص إلى أن هناك إشكالات عديدة وتناقضات على مستوى هذه الدراسات والبحوث، فمثلا هل توجد مدينة واحدة أم مدن عديدة؟ هل لكل مدينة خصوصيات اقتصادية واجتماعية؟ وما علاقة المدينة بضواحيها؟ هناك دراسات اهتمت بالمدينة من منظور انسان العمارة، وبعضها اهتم بمناطق جغرافية محددة كدراسة الأحياء السكنية في المدينة الفرنسية، لذلك هل هذا التعدد النظري في مقاربة المدينة الحديثة يعكس حيوية معرفية؟ أم يعبر عن تناقضات منهجية واختلالات معرفية على مستوى هذه الدراسات؟

المدينة الحديثة ليست وسطا للتفكك الاجتماعي بل وسطا للتثاقف في الحياة الاجتماعية الحديثة، تحدد عملية التغير الاجتماعي خصوصيات المجتمع الصناعي وتساهم الثقافة الصناعية في تحول السياقات الحضرية، أما الاستمرار في مقاربة السلوك الحضري والممارسات الاجتماعية لأفراد المدينة من منظور الثقافة الحضرية، يراه كاستلز عبارة عن تخريف معرفي، فمصطلح الثقافة الحضرية الذي يوضع دائما في مقابل مصطلح الثقافة الريفية، هو في حقيقة الأمر عبارة عن ثقافة الحضارة الصناعية، لأن دراسات فيبر وغيره من الباحثين؛ كشفت أن هناك ثقافة حضرية في المدن في المرحلة ما قبل الصناعية , Weber) (2014، كما أننا اليوم نجد أن الثقافة الحضرية انتشرت في المجمعات الريفية، لأن الثقافة الحضرية هي نتاج النمو الصناعي الرأسمالي وليست نتاج سلوكيات أفراد المدينة، فيقول كاستلز:" لا نسجل أن هناك مسارا للتحول من الريفي إلى الحضري، ولكن هناك عمليات هدم للثقافة الجمعاوية بواسطة ثقافة الجمهور، وبتعبير أدق بواسطة الثقافة الاجتماعية المهيمنة" Castells) (1968, p72, وهذه الفكرة عبر عنها أيضا عالم الاجتماع الأمريكي روبرت رادفيلد بالمتصل الريفي الحضري(1941 , Redfield) .

4- نحو إعادة صياغة مفهوم التحضر: الإنتاج الاجتماعي للمجال

نشير في مستهل هذا العنصر إلى أن كاستلز في مقاربته لظاهرة التحضر باعتباره من المفاهيم المركزية في السوسيولوجيا الحضرية، يدرجه ضمن مشكلات التنمية في المجتمعات المعاصرة، وضمن الرمال المتحركة للمفاهيم الأيديولوجية Castells) (1970, p155،. فمعظم التحليلات تناولت ظاهرة التحضر من زاوية النظرية التطورية، حيث كل تشكيلة اجتماعية جديدة تضيف عناصر للتشكيلات الاجتماعية السابقة، لذلك بدلاً من وضع معايير للتحقيب الزمني للتحضر، علينا دراسة إنتاج الأشكال المكانية انطلاقا من البنية الاجتماعية، ومن هذا المنطلق، يحمل مفهوم التحضر مستويين، هما:

- التركز المكاني للسكان انطلاقا من الحجم والكثافة.
- انتشار نسق من القيم والعادات والسلوكيات والمعايير، يطلق عليها الباحثون مفهوم الثقافة الحضرية.

يعتبر كاستلز أن الثقافة الحضرية تجلٍ للخصوصيات الاجتماعية للمجتمعات الصناعية، فالتحضر يعني الغربية occidentation وعادة ما يتم الجمع بين التحضر والتصنيع، فيتم استخدماها في التأكيد على ثنائية الريفي/ الحضري، ثنائية عمل ريفي/ عمل صناعي، لذلك لا يجب اختزال الظاهرة الحضرية إلى مجرد السياق الذي تولدت عنه، بل يجب أن نقارب سوسيولوجيا التحضر كعملية تنموية مرتبطة بتنظيم المجال، وبالتالي، تبدأ من العلاقة بين القوى المنتجة والطبقات الاجتماعية والأشكال الثقافية، ولا يمكن لمثل هذا البحث أن يستمر في التجريد فقط، بل يجب عليه استخدام أدواته المفاهيمية، شرح مواقف تاريخية معينة، غنية بما يكفي للكشف عن الخطوط الرئيسية للظاهرة تنظيم المجال الحضري (Castells , 1981, p19).

إن التحضر من المؤشرات الدالة على الحداثة، يشير في مرات أخرى إلى مصدر للتناقضات، ينظر إليه أحيانا على أنه عملية حتمية لا مفر منها نتيجة التطور التقني والاقتصادي (C. F. Manuel ,1974)، فهناك عوالم بنيوية رئيسية في تشكل العلاقات الاجتماعية وأشكال الحياة الاجتماعية في المجتمع الحديث، تلعب المؤسسات الصناعية وأجهزة الدولة دوار بارزا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وعليه، يمر فهم التحضر من خلال فهم دور المؤسسات الاقتصادية وأجهزة الدولة، وكذلك علينا استحضار البعد التاريخي عند دراسة التحضر وقوى الإنتاج والبنيات الاجتماعية.

يقوم الاتجاه الثقافوي في تحليل ظاهرة التحضر على فرضية الارتباط بين نماذج تقنية للإنتاج الصناعي ونسق القيم الحداثية، وعلى شكل خاص من المجالات أطلق عليه اسم المدينة، ويتم تمييزها على باقي المجالات بناء على الحجم والكثافة (Castells , 1970, p1157)، لكن هذا المنظور الثقافوي ليس حتميا في كل الحالات والوضعيات بحسب كاستلز، فهناك شواهد تؤكد وجود مدن ما قبل صناعية كما أشار إليها لويس ممفورد في دراساته (ممفورد ,2016)، وهناك من الباحثين من رفض

استخدام مفهوم المدينة في مقاربة التجمعات البشرية، بالإضافة إلى الإرباك الحاصل بين مشكلة الحضري والتنظيم السوسيوثقافي الناتج عنه، لذلك الربط بين الشكل المكاني والمضمون الثقافي فرضية دقيقة، لكنها ليست عنصر جوهري في تعريف مفهوم التحضر.

يؤشر مفهوم الحضري بشكل خاص على شغل المجال بواسطة السكان، والتجمع الحاصل من التركز والكثافة بنسبة عالية، بالإضافة إلى الفوارق الاجتماعية والوظيفية (Castells , 1970, p1157)، لكن هنا ستثار مسألة عند أي عدد وكثافة نعتبر تجمع سكاني ما حضري؟ ما هي المنطلقات النظرية والامبريقية لهذه المعايير؟ مثلا كشف جبورج عن تناقضات في استخدام المعيار الإحصائي في تحديد مفهوم الحضري، فكل دولة تستخدم حجم إحصائي تعبر من خلاله عن التجمعات الحضرية (Sjoberg.G 1960)، من هذا المنطلق، تصبح ثنائية الريفي والحضري لا تحمل أي معنى أو دلالة.

ويدور مفهوم التحضر اليوم حول ثلاثة حقائق أساسية، وهي:

- تسارع مستوى التحضر في كل دول العالم.
- يتركز النمو الحضري في المناطق والبلدان المتخلفة، ولا علاقة له بالنمو الاقتصادي كما حدث في الدول الغربية، التي عرفت نموا حضريا بسبب الرأسمالية الاقتصادية.
- ظهور أشكال جديدة للتحضر، أو ما يعرف اليوم بالميتروبول أو المدن الكبرى في العالم (Kaufmann ,2014).

يشير مفهوم التحضر في مرات عديدة إلى فضاء مكاني خاص في المجتمعات الإنسانية، يكتسب خصائصه من تركز الأنشطة والسكان في مجال جغرافي ما، مع انتشار نسق ثقافي أو ما يعرف بالثقافة الحضرية، وهنا لاحظ كاستلز نوعا من الارتباك الأيديولوجي في معاجلة التحضر من خلال المطابقة بين القوى الايكولوجية والمضمون الثقافي، وهذا أيضا مقترح أيديولوجي لفكرة إنتاج القيم الثقافية انطلاقا من الكثافة واللاتجانس الاجتماعي.

يُظهر مفهوم التحضر في مقابل الريفي الأدلوجة الثنائية: المجتمع الريفي/ المجتمع الحضري، التقليدي/ الحداثي، ويصبح مرجعا للتعبير عن تحول المجتمعات إلى حضرية بواسطة اقترابها أو ابتعادها من المجتمع الحداثي، يتم من خلالها التمييز بين المجالات الريفية والمجالات الحضرية، وعليه، هذه الثنائية لا أساس لها من الناحية الواقعية وإنما تعبر عن أيديولوجيا الحداثة.

يقترح كاستلز مفهوما بديلا للتحضر ممثلا في الإنتاج الاجتماعي للأشكال المجالية، فيشير التحضر إلى عملية تجمع السكان في مجال ما؛ يشكل تجمعا عمرانيا وظيفيا. يمر حتميا تحليل التحضر عبر تحليل مفهوم التنمية، وهذا الأخير، يعاني أيضا من الالتباس، يشير في مرات إلى المستوى التقني والاقتصادي الذي بلغه مجتمع ما، وإلى تحولات كيفية للبنى الاجتماعية التي تسمح بالنمو السريع المحتمل للقوى الإنتاجية، يخدم هذا الالتباس وظيفة أيديولوجية، عندما تختزل التنمية إلى تحول بنيوي لمجموعة من الموارد التقنية والمادية في مجتمع ما (Castells , 1970, p1162).

يشير مفهوم التنمية إلى تموضع البينة الاجتماعية لتشكيلة اجتماعية معطاة، ولا يمكن تحليله دون ربطه بما يحدث في العالم، لذلك نجد التنمية المستقلة وتنمية التبعية، فطرح كاستلز السؤال التالي: كيف تتم عملية الإنتاج الاجتماعي للأشكال المجالية في مجتمع ما؟ وما هي العلاقات الجديدة ما بين المجال المبني والتحولات البنيوية داخل المجتمع ؟ (Castells , 1970, p1163)

حاول الباحثون دراسة التحضر في المجتمعات من خلال الربط بين التقدم التقني والاقتصادي والخصائص الديمغرافية، غير أن الإشكال المطروح هنا أن العلاقة تظهر بينهما كأنها متناقضة، فكلما زاد التقدم التقني والاقتصادي انخفض معدل النمو

الديموغرافي، كما هو موجود في الدول المتقدمة والعكس بالنسبة للدول المتخلفة، فمن الباحثين من وجد حلا لهذه الاشكالية من خلال الجمع بين متغيري التنمية الاقتصادية و التحضر، إلا أن كاستلز يرى أن هذه التحليلات الكلاسيكية لم توفق في شرح ظاهرة التحضر في الدول المتخلفة، فالنمو الحضري في هذه الدول أعلى بكثير منه في الدولة المتقدمة رغم تخلفها الاقتصادي، وبالتالي، العلاقة بين التحضر والتصنيع ليست خطية دائما.

يُفهم التحضر في الدول المتخلفة في إطار فهم أشكال الهيمنة التي تعرضت لها هذه المجتمعات بدءا من الهيمنة الامبريالية التجارية، ثم الهيمنة الاستعمارية وأخيرا الهيمنة الصناعية والمالية (Castells , 1970, p1172)، فلعبت الظاهرة الكلونيالية دورا بارزا في تحضر المجتمعات الريفية في البلدان المتخلفة، فنجد أن هناك علاقة بين التصنيع المُهمين والتحضر التابع، ومن جهة أخرى، بين التحضر والنمو الديمغرافي في البلدان المتخلفة، "يحدث التحضر والنمو السريع للتجمعات العمرانية بسبب عاملين، النمو الطبيعي للسكان والهجرة الريفية الحضرية، وهنا، التحضر يعكس حالة من تفكك المجتمع الريفي وليس نتاج ديناميكية المجتمع الحضري" (Castells , 1970, p1174)

إذن، علينا دراسة نشأة القيم الثقافية الغربية والنماذج الاستهلاكية الجديدة التي نشرتها الوسائل الإعلامية، وكيف عملت هذه الأخيرة على إعادة تطبيع الإنسان الجديد في المجتمعات الحضرية المتخلفة، فيؤدي التحضر التابع إلى تركز عالي للسكان في التجمعات الحضرية، وهناك مسافة ما بين هذه التجمعات وباقي التجمعات في البلد الواحد، بالإضافة الى القطيعة مع الشبكة الحضرية الموجودة (Castells , 1970, p1175).

أنجز كاستلز دراسة امبريقية حول ظاهرة التحضر في مدينة دنكارك بفرنسا، حيث تعد مدينة دنكارك نموذجا امبريقيا يعبر عن التحضر الناتج عن التفاعل بين العوامل الاقتصادية والسياسية. كشف كاستلز عن العلاقة التي تربط التحضر بالمنطق الرأسمالي الاحتكاري والتدخل الوظيفي لجهاز الدولة، فالعملية الاجتماعية لإنتاج النسق الحضري انطلاقا من منطق إعادة إنتاج قوى العمل وتحليل عناصر إنتاج النسق، والتناقضات التي يتم التعبير عنها من خلال المشكلات الحضرية (F. G. Manuel Castells ,1974, p12).

علينا دراسة إنتاج المدينة في السياق التاريخي كمنظومة تهيكل بين العديد من التناقضات الاجتماعية، وتعبر السياسات الحضرية عن التناقضات الطبقية والصراعات السياسية، هذه الافتراضات البحثية لا تأتي من الملاحظات الامبريقية، وإنما تأتي من المفاهيم النظرية التي وظفها كاستلز، فالمفاهيم النظرية تمكننا من تصفية الممارسات الاجتماعية التي نلاحظها، بالإضافة إلى المعلومات التاريخية والبنيوية، من هذا المنطلق، سيعمل كاستلز على تمديد استعمال المادية التاريخية في دراسة التناقضات الاجتماعية المتولدة عن علمية التحضر، وكان يطمح إلى تجاوز التعارض بين الامبريقية البراغمتية و الشكلانية النظرية، وسيعتمد على قانوني أساسي للمادية التاريخية يتمثل في كون المتغير الاقتصادي يحدد طبيعة البينة الاجتماعية، فالعلاقات السياسية بين الطبقات هي التي تحدد طبيعة الممارسات الاجتماعية. (F. G. Manuel Castells ,1974, p13-14)

بناء على المقاربة الماركسية البنيوية التي تبناها كاستلز، وظف مجموعة من الأدوات التقنية والمنهجية لدراسة الظواهر الحضرية بمدينة دنكراك، نذكر منها: الخرائط الاقتصادية والايكولوجية والديمغرافية، التقارير الدورية والوثائق، نشريات مختلف المؤسسات، التحقيقات الميدانية الاستكشافية، المقابلات المباشرة، الملاحظة بالمشاركة، التحقيقات الاثنوغرافية، انجاز فيلم وثائقي؛ مدته أربعين دقيقة" (F. G. Manuel Castells ,1974, p14).

وخلص كاستلز إلى أنه لا يظهر الفصل بين الأمكنة الحضرية كتوزيع مكاني لإقامة الجماعات الاجتماعية داخل المجال وفقًا لمقياس التركز والانتشار، لكنه يعبر عن مستوى إعادة إنتاج القوى العاملة و عن العلاقات المعقدة والتغييرات التي تحدد طرائقها،

وبالتالي، لا يوجد مجال يتم تفضيله مسبقًا بالمصطلح الوظيفي، فيعرف المجال الحضري ويعاد تعريفه وفقا للديناميكية الاجتماعية. (C. Manuel ,1972, p231)

يرى كاتسلز أن هناك بعدا أيديولوجيا في مقاربة المجال الحضري كالمقاربة الايكولوجية، التي تعرف اجرائيا على أنها الاستعمال الاجتماعي للموارد الطبيعية، تدافع أيديولوجيا الايكولوجيا عن فكرة رفاهية الإنسان في صراعه مع الطبيعة، ترى أن التحضر وما ينجم عنه من مشكلات هو الضريبة الاجتماعية التي يجب أن يدفعها أي مجتمع لتحقيق التقدم والتطور، كذلك تنظر إلى التناقضات الاجتماعية على أنها ظاهرة طبيعية، تختزل تاريخ الإنسانية في اختلاف الإنسان عن الطبيعة، تعادل أيديولوجية الايكولوجيا أيديولوجية اغتراب الإنسان عن الواقع وتعمل على حجب المشكلات الحضرية الحقيقية، بسبب الستار الذي تضعه أمام أعين الباحثين لمقاربتها وفهمها، بينما الحقيقة هي أنه في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة،" عملية تشكل المجال هي عبارة عن إعادة إنتاج ببساطة أو موسعة لقوى العمل، ومجموع الممارسات التي نطلق عليها حضري تتموقع في البنية الاجتماعية (C. Manuel ,1972, p298).

يتكون النظام الحضري من منظور كاستلز من أربعة عناصر أساسية، عنصر الإنتاج P: وسائل الإنتاج الخاصة، عنصر الاستهلاك C: قوى العمل الخاصة، عنصر التبادل: ما بين P وc داخل عنصر الإنتاج وداخل عنصر الاستهلاك، عنصر التسيير G ونطلق عليه تسير وضبط العلاقة بين Pو C و E، العنصر S رمزي، الذي يعبر عن المواصفات الأيديولوجية على مستوى الأشكال المكانية، دون أن يكون من الممكن فهمها في حد ذاتها، ولكن في التعبير عن النظام الحضري بأكمله (C. Manuel ,1972, p299)

بناء على هذا التعريف للنظام الحضري، كما توجد قراءة اقتصادية للمجال الحضري فانه توجد قراءة مؤسساتية للمجال الحضري، وهنا، يطرح كاستلز سؤالا : عن دور الجهاز السياسي القانوني في التكوين الاجتماعي للمجال الحضري؟ مشيرا إلى عدم التوافق بين وحدات التنظيم المجالي والوحدات الاقتصادية ووحدات التسيير الإداري وهطا بالنظر إلى الفرق بين الهيئتين الاقتصادية والسياسية، لذلك يعبر التقسيم الإداري للمجال الحضري عن منطق النسق المؤسساتي، ومن زاوية أخرى، فإن الفعالية الاجتماعية الخاصة بتقسيم المجال الحضري ترتبط بمجموعة الآثار الاقتصادية والأيديولوجية، التي لها تأثير مباشر على العمليات الاجتماعية والصراع السياسي (C. Manuel ,1972, p264)

بهذا المعنى، يصبح تقسيم المجال الحضري خاضع لفكرة الإصلاحات المتتالية، تُفرض الإصلاحات دائما من قبل قوى الصراع الطبقي، وبالتالي من خارج أجهزة الدولة؛ تهدف إلى الحفاظ على الوضع القائم وتوسيعه، وتكرس مصالح الطبقات المهيمنة على المدى الطويل، حتى لو تطلب الامر تقويض امتيازاتهم إلى حد ما في ظرف وسياق تاريخي معين. يظهر التنظيم المؤسساتي للمجال لحضري كتعبير داخل المناطق الحضرية الجديدة، مجموعة عمليات للاندماج والضبط الاجتماعي من طرف هيمنة ورقابة أجهزة الدولة الحديثة، إن تحليل المجال مؤسساتيا ؛ يؤكد على أن المتغير الاقتصادي في البيئة الحضرية يدخل في الديناميكية الاجتماعية والصراع السياسي، الذي يتمركز في كل تحليل حقيقي للتحول الذي تعرفه المدينة الحديثة (C. Manuel ,1972, p274).

المجال مليء بالمعنى الذي تنعكس أشكاله ومخططاته في بنية رمزية، ويتم الكشف عن فعاليتها في الممارسات الاجتماعية من خلال التحليل الواقعي، لكن هذه البنية الرمزية ليست مكافئة لنص حضري منظم من خلال التبلور الرسمي للفعل الاجتماعي في الواقع، فتحت تأثير علم اللغة، ولدت نزعة خطيرة لتطوير تحليل سيميولوجي للمجال الحضري، والذي وفقا له هو الدال على البنية الاجتماعية، ومع ذلك، فإن هذا ما هو إلا تذكير بالمجال كحقيقة اجتماعية؛ التي تشير ببساطة إلى التحليل البنيوي للمجال الحضري (C. Manuel ,1972, p274).

5- المسألة الحضرية والسياسات الحضرية: أي علاقة؟

تفهم المسألة الحضرية في علاقتها بالنمط الإنتاج الرأسمالي، حيث يتم تنظيم المجال الحضري بما يسمح بحركية رأس المال؛ السلع والموارد، كذلك يتم النظر إلى المشكلات داخل المدينة على أنها ليست على المستوى الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية الحضرية، بل هي نتاج علاقات قوى محددة بواسطة تناقضات بين رأس المال والعمل، "إن تحليل العملية السياسية لا يستنفد واقعًا معينا، لكنها تشكل عنصره الأساسي، لأن السياسة هي التي تبني الواقع بأكمله وتحدد أنماط تحوله، فتحليل العملية السياسية يسمح لنا بفهم الوضعية الحقيقية وتحولاتها، وتجاوز الثنائية البينة / الحدث و ويضعننا على طريق الدراسة العلمية" (C. Manuel ,1972, p307)، وهو ما ينطبق على المسألة الحضرية، حيث يقبع في عمق التحليل السوسيولوجي للمسألة الحضرية دراسة السياسة الحضرية، بمعنى تموقع العمليات الموصوفة بالحضرية في حقل الصراع الطبقي، وبالتدخل السياسي لأجهزة الدولة في المجال الحضري.

يرتبط في التقاليد السوسيولوجية موضوع السياسة الحضرية ارتباطا وثيقا بموضوع السلطة المحلية، يُفهم على أنه عملية سياسية داخل المجتمع المحلي وتعبير عن تدخل أجهزة الدولة على المستوى المحلي، كما تعرف السياسة الحضرية على أنها مجموعة من الإجراءات التي تقوم بها أجهزة الدولة على مستوى حضري ما، وهناك اتفاق عام على اعتبار السياسة الحضرية عملية سياسية، تسمح بوضع القوى الاجتماعية في مواجهة المصالح الخاصة، وفي المصطلح الليبرالي الفاعلون يبحثون عن تحقيق مشاريعهم من خلال مختلف الاستراتيجيات (C. Manuel ,1972, p311)، تواجه السياسة الحضرية المشكلات الحضرية، من خلال:

- تسيير المشكلات الحضرية من خلال النظام المؤسساتي الوطني أو المحلي، ويمكن التعبير عن ذلك بمسمى التخطيط الحضري.
- ميلاد التحديات الحضرية انطلاقا من الصراع بين مختلف الجماعات الاجتماعية والصراع السياسي الحضري (المشاركة، المطالبة،الاحتجاج).
- -التخطيط الحضري عبارة عن أداة للرقابة الاجتماعية على النظام الحضري.
- يتم تحليل المجال الحضري كسلسلة من العمليات للكشف عن المنطق الاجتماعي الكامن وراؤها، لذا يكشف التحليل عن تأثير مختلف الجماعات الاجتماعية على المجالات الحضرية.

تشير السياسية الحضرية إلى مفهومين متداخلين من منظور كاستلز، وهما: السياسة، السياسي، le politique, la politique,، وعرفهما كمايلي (C. Manuel ,1972, p323):

le politique: السياسي يشير إلى مؤسسة / هيئة في مجتمع ما تعمل على معاجلة التناقضات والفوارق بين مختلف المؤسسات/الهيئات، إصدار القوانين بما يضمن تحقيق مصالح الطبقات المهيمنة.

la politique: السياسة تشير إلى نسق من علاقات السلطة؛ يتجسد البعد النظري للقوة في العلاقات الطبقية، تعني القوة قدرة الطبقة الاجتماعية على تحقيق مصالحها على حساب الطبقات الأخرى.

وهكذا، تنقسم دراسة السياسة الحضرية إلى مجالين تحليليين مرتبطين ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي، التخطيط الحضري والحركات الاجتماعية الحضرية، كما أن السياسة الحضرية عبارة عن تدخل أجهزة الدولة بكل أدواتها في تنظيم المجال الحضري، والعمل على توفير الشروط الاجتماعية لإنتاج قوى العمل، وأيضا السياسة هي تجل لعلمية الصراع الطبقي من جهة

أخرى، لأن تدخل جهاز الدولة هو تعبير عن الصراع الطبقي في المجتمع الحضري، وتدخل الدولة في تنظيم المجال له علاقة بالاستهلاك الجماعي.

يرى كاستلز أن التخطيط الحضري عبارة عن تدخل النظام السياسي في الهيئات المختلفة للتكوين الاجتماعي، بهدف ضمان إعادة إنتاج النظام بشكل موسع، تسوية التناقضات غير الصراعية وقمعها، وبالتالي ضمان مصالح الطبقة الاجتماعية المُهيمنة وإعادة إنتاج بنيويا نمط الإنتاج المُهيمن (C. Manuel ,1972, p328)، فالتخطيط الحضري عموما هو عبارة عن تدخل للنظام السياسي في النظام الاقتصادي على مستوى وحدة سوسيومكانية محددة، بغرض إعادة إنتاج قوة العمل (الاستهلاك) و إعادة إنتاج وسائل الإنتاج (الإنتاج) عبر تجاوز التناقضات المتتالية في التشكيلة الاجتماعية لضمان عدم تغيرها" (Castells, ,1969, p422).

ويتم تحديد هيكليا أي مشكلة حضرية من خلال موقعها في سياق النظام الحضري، لذلك تفهم المشكلات الحضرية من خلال :

- موقع المشكلات الحضرية في النظام الحضري.
- موقع المشكلات الحضرية في البنية الاجتماعية العامة، وعلى وجه أخص في عملية الإنتاج وفي أجهزة الدولة الأيديولوجية، كذلك في الجانب السياسي والإداري على المستوى المحلي.
- المشكلات الحضرية وعلاقتها بنسق الفاعلين الاجتماعين الحضريين.

قام كاستلز بمجموعة من التحقيقات الميدانية للاختبار فرضياته البحثية حول التخطيط الحضري، فالتخطيط الحضري عبارة عن تدخل النظام السياسي في النظام الحضري، فغالبا ما تصاغ المخططات الحضرية في شكل وثائق وخرائط تعبر عن أدلوجة أو تحيز حضري ما، وقبل أن تعطي هذه المخططات لنفسها وسائل التنفيذ أو مدى فعاليتها الاجتماعية، فهي تمثل نصوص أيديولوجية بامتياز، وهي لا تعبر فقط عن تأثير النظام السياسي على النظام الحضري ولكن عن تأثير السلطة الأيديولوجية في مجتمع ما.

يعتقد كاستلز أن التجديد الحضري الذي عرفته بعض المدن الأمريكية يعتبر شكلا من أشكال التخطيط الحضري، فلا يتعلق فقط ببرنامج إسكان أدى إلى تفاقم النقص في الإسكان المنخفض التكلفة، وإنما لم يكن أسلوبا اصلاحيا يستجيب للمطالب الاجتماعية لسكان الأحياء الفقيرة، بل عمل على تحويل مشكلة الاسكان في المجال الحضري وجعلها أكثر حدة (C. Manuel ,1972, p366)، فالتجديد الحضري في الواقع آلية تكييف؛ تهدف إلى السماح اجتماعيا بالمرور بين شكلين حضريين من المدينة: من المدينة الصناعية إلى المدينة الميتروبول.

في نفس السياق، عرفت مدينة باريس عمليات تجديد حضري عبر إعادة توزيع السكان على المجال الحضري، سيكون لعنصر الاستهلاك ممثلا في إعادة إنتاج القوى العاملة أي السكن والخصائص الاجتماعية للمجال السكني دورا مرجحا في هذا البرنامج، لكن السؤال الرئيسي: هو معرفة أي من المتغيرات:(تدهور البيئة أو التركيبة الاجتماعية للمجال) يعمل بقوة أكبر على تحويل استخدام الأراضي؟

وصف كاستلز عملية التجديد الحضري بعملية "احتلال باريس "، وهو عبارة عن تدخل من جهاز الدولة في المجال الحضري، بهدف إعادة إنتاج موسع للنظام الحضري لمدينة باريس من وجهة نظر مركزية (C. Manuel ,1972, p396)، لذلك إن أي تدخل من قبل جهاز الدولة يمكن فهمه من خلال تأثيره على الجانب الاقتصادي والسياسي والأيديولوجي، أو تأثيره بشكل

مباشر على العلاقات الاجتماعية، وهنا، نكشف عن طبيعة علاقة التجديد الحضري بالهيئات والمؤسسات المختلفة في المجتمع (C. Manuel ,1972, p397).

6- المدينة الحديثة: فضاءً للحركات الاحتجاجية الحضرية

يرى كاستلز أن الصراع الطبقي والتناقضات الحضرية ستؤدي إلى ميلاد الحركات الاحتجاجية الحضرية في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، مع تأكيده على أن نسق الممارسات الاجتماعية المتناقضة هي نتاج حتمي للتناقضات المتولدة عن المشكلات الحضرية (Castells ,1975, p7)، فالمشكلات الحضرية أصبحت منتشرة تقريبا في كل دول العالم بسبب أن المجتمعات المعاصرة أصبحت مجتمعات حضرية، وبالتالي، أصبحت أبرز المشكلات التي تواجه الإنسان المعاصر(السكن الاجتماعي، الاستفادة من الخدمات الحضرية، الأمن في العمارات، النقل الحضري، ...)، يؤسس كاستلز أطروحته حول الحركات الاحتجاجية الحضرية بطرح أربعة فرضيات تفسيرية، وهي:

- الفرضية الأولى: شوارع المدن في العالم أصبحت مسرحا للحركات الاحتجاجية.
- الفرضية الثانية: المشكلات الحضرية متولدة من نسق الممارسات الاجتماعية المتناقضة .
- الفرضية الثالثة: المشكلات الحضرية هي المشكلات الأكثر انتشار في عالم اليوم بسبب ظاهرة التحضر، المستوى الأول لهذه المشكلات يتمثل في: السكن، الاستفادة من الخدمات الحضرية، الأمن الحضري، النقل...الخ، المستوى الثاني يتمثل في: الانحراف الاجتماعي، التلوث البيئي، الحوادث المرور، البطالة، الفراغ...

الفرضية الرابعة: الحركات الاحتجاجية الحضرية: تنظيم نسق الفاعلين الاجتماعين (سياق العلاقات الطبقية) يؤدي إلى تأثير نوعي جديد على البينة الاجتماعية، من خلال حالتين:

- على مستوى البنيات الاجتماعية: تغير في قانون المؤسسات المهيمنة.
- على مستوى الممارسات: تعديل في علاقات القوى باتجاه معارضة الهيمنة الاجتماعية المؤسساتية، المؤشر الدال على هذا التغيير الجوهري في نسق السلطة (الجهاز السياسي الإداري) أو في تنظيم الهيمنة المضادة(تدعيم التنظيم الطبقي) (C. Manuel ,1972, p328).

يرى كاستلز أن التمييز بين التخطيط الحضري والحركات الاجتماعية ليس له معنى، لأن التخطيط هو شكل معين من أشكال الممارسة السياسية ذات المضمون الطبقي، تؤثر الحركات الاحتجاجية بشكل مباشر على عملية تخطيط المدن مع التأكيد على أن فرضيات دراسة التخطيط الحضري تؤسس انطلاقا من دراسة المجتمع الرأسمالي، فالنظام الحضري نظام هيمنة بشكل عام، وهناك تناقضان أساسيان يخضع لهمها: التناقض بين قوة العمل وعدم العمل، والتناقض بين علاقة الملكية وعلاقة التملك الحقيقي (القوى المنتجة) (C. Manuel ,1972, p337)، تتأرجح المشكلة الحضرية بين الاستهلاك والإنتاج، وكل تناقض لا يحل من طرف النظام السياسي يتحول إلى تناقض جوهري.

تنشأ الحركة الاحتجاجية من اجتماع تركيبة اجتماعية معينة، تتراكم فيها العديد من التناقضات، مع نوع معين من التنظيم، تثير أي حركة احتجاجية النظام السياسي للقيام بحركة مضادة، وهي تعبر عن تدخل الجهاز السياسي (الاندماج والقمع) بهدف الحفاظ على النظام (C. Manuel ,1972, p338)، وبسبب تزايد التناقضات الاجتماعية المستمرة داخل البينة الاجتماعية تنشأ الحركات الاحتجاجية الحضرية.

إذن، تنشأ الحركة الاجتماعية عندما تكون هناك تناقضات هيكلية على مستوى النظام الحضري، لذا توجد علاقة طردية بين المشكلات الحضرية وتنامي الحركات الاحتجاجية الحضرية، فالرأسمالية الاحتكارية أدت في العالم إلى تجمع السكان في المناطق الحضرية وعملت على تنظيم الحياة الاجتماعية الحضرية، لذلك هي المسؤولة عن التناقضات الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات المعاصرة.

يطور الاستهلاك الجماعي من منظور كاستلز نوعين من التناقضات الاجتماعية، الأول: يصبح الاستهلاك الجماعي (الإسكان الجماعي، الأجهزة العمومية، النقل الحضري...إلخ) عنصرا وظيفيا أساسيا وموضوعا دائما للطلبات مما يؤدي إلى تناقضات على مستوى الاقتصاد الرأسمالي، فعملية الاستهلاك الجماعي تطور تناقضات مستمرة. ثانيا: التناقض ما بين الأسلوب الفردي للحياة الاجتماعية (كل شخص يعيش حياته) والنمط الجماعي لإدارة هذه العملية، فالتنظيم الحضري يشكل مركبا كليًا، فلا يمكن التفكير في التعامل مع مشاكل الإسكان بشكل منفصل عن مشاكل النقل (Castells ,1975, p7).

إن التناقض بين الطابع الشمولي للمشكلات الحضرية والتسيير الحضري الإداري -البيروقراطي، يجعل من الدولة الكيان الوحيد القادر على حل هذا الإشكال، فدور الدولة هو المنظم الفعلي للساكنة الحضرية تحت غطاء تنظيم المجال الحضري، تتدخل إجرائيا وتقنيا من خلال أجهزة التخطيط الحضري، رغم أن هذا التخطيط لا يخدم سوى المصالح الاجتماعية والاقتصادية للطبقة المهيمنة في المجتمع الحضري الرأسمالي.

غالبا ما يكون للمصالح الطبقية تعبير غير مباشر، يتم تقديمه كنتيجة حتمية للتعقيد المتزايد للحياة الحديثة، حيث نشهد دائما ميلا عاما لتقديم كل المشكلات والصراعات (من الإجرام إلى تمرد الأقليات العرقية) على أنها من طبيعة حضرية، تحتاج فقط إلى معالجة تقنية محايدة وعقلانية(التخطيط الحضري)" (Castells ,1975, p14).

يخدم التخطيط الحضري مصالح الفئات أو الطبقة الاجتماعية المهيمنة داخل المدينة الحديثة، أما باقي الطبقات الاجتماعية فتعاني الأمرين، ومع ذلك، فإن التحليلات الملموسة لعمليات التخطيط الحضري خلصت بشكل عام إلى أنه لا يمكن تنفيذ المخططات بسبب معارضتها للأوضاع الاجتماعية المكتسبة من طرف طبقة أو جزء من الكتلة الاجتماعية المهيمنة في ظرف تاريخي معين أو معارضة مصالح هذه الطبقة الاقتصادية و السياسية والأيديولوجية (Castells ,1975, p14).

لا يعد التخطيط الحضري أداة للتغيير الاجتماعي بل أداة هيمنة وتحقيق لمصالح الطبقات المهيمنة داخل المدينة الحديثة، وغالبا ما يتم النظر إلى المشكلات على أنها تقنية محضة وأنها لا تاريخية، ويتم فصلها عن الصراع الطبقي في المجتمع الحضري، لذلك تعد الحركات الاحتجاجية هي الأداة الوحيدة القادرة على في إحداث التغيير الاجتماعي داخل المدينة الحديثة، فهناك ثلاثة أنواع من الحركات الاحتجاجية وهي: الحركات الاحتجاجية المتعلقة بالإنتاج، الحركات الاحتجاجية الحضرية والحركات الاحتجاجية السياسية.

من هذا المنطلق، إن إشكالية الحركات الاجتماعية الحضرية على مستوى مزدوج، المستوى الأول التغير في أنماط الاستهلاك الجماعي التي يتم التعبير عنها في النظام الحضري، والمستوى الثاني، التناقضات الاجتماعية التي تظهر في المجتمعات الصناعية الرأسمالية، كما أن التناقضات الاقتصادية والسياسية توجد في أساس البنية الاجتماعية(Castells ,1975, p15).

لا تتناول العلوم الاجتماعية إشكالية الحركات الاحتجاجية في المدينة الحديثة، لأنها خاضعة لهيمنة المؤسسات السياسية والاقتصادية الرأسمالية، كذلك تقارب معرفيا المشكلات الحضرية بربطها بإشكالية عسر الاندماج الاجتماعي للأفراد في المجتمع الحضري، مع أن الواقع الحضري يكشف لنا أن هناك ارتباطا وثيقا بين الصراع الطبقي والمشكلات الحضرية عبر تطوير

التناقضات الاجتماعية في صميم الحياة اليومية، ومن الأمثلة التي ساقها كاستلز على الحركات الاحتجاجية الحضرية في المدن الغربية، مايلي:

6-1- التجديد والاستبعاد الحضري في مدينة باريس

عرفت مدينة باريس انطلاق مشروع ضخم عرف بالتجديد الحضري سنة 1958م، يرى كاستلز أنه كان في خدمة الفئات البرجوازية وليس الفئات الفقيرة داخل المدينة الحديثة، فالصراع ضد التجديد الحضري كان من طرف الطبقات الشعبية التي كانت تقطن أحياء باريس، وكشف التجديد الحضري عن تناقض المصالح بين الطبقات الاجتماعية، فمثلا التناقض بين المرقين العقارين (منتجي السكن) في مقابل طالبي السكن.

قام التجديد الحضري على عملية هدم الأحياء السكنية القديمة وإعادة إسكان ساكنتها، وتطوير بعض المناطق الحضرية المتدهورة، "ويعني التجديد بناء مجمعات عمرانية كبرى، فالفقراء الذين يسكنون في المباني القديمة يتم ترحيلهم إلى مساكن جديدة، ولمواجهة غضب هذه الفئات التي ترفض الترحيل سوف يحشرونهم في المتر المربع الواحد، حيث كلما ارتفع شعل الأرض كلما زادت أرباح المرقين العقاريين(Castells ,1975, p25).

يرى كاستلز أن الحركات الاحتجاجية التي قامت بها الفئات الفقيرة ؛التي تشكلت من المهاجرين والعمال، إلا أن هذه الفئات افتقدت للتأثير السياسي، وهنا طرح إشكالية الانتقال من التأثير الحضري إلى التأثير السياسي داخل المدينة الحديثة،" فتحليل النضالات التي قام بها سكان الأحياء بمدينة باريس ضد التحولات الاجتماعية والوظيفية للمدينة على حساب مصالحهم، تمكننا من فهم ديناميكيتها والبنية الداخلية للحركة الاحتجاجية الحضرية"(Castells ,1975, p42).

توجد ضواحي في مدينة باريس يقطنها أكثر من عشرة ملايين شخص، تتميز ببيئتها المعيشية المرتدية، تعاني من تدني الخدمات الحضرية، يقطنها العمال والمهاجرون والفئات الفقيرة، بينما مركز المدينة يعرف حياة البذخ والترف، ظلت الفئات الاجتماعية الفقيرة تنظر إلى الفاعلين على التجديد الحضري كتجار جدد، لذلك إذا كان برنامج التجديد الحضري يختلف من منطقة حضرية إلا أخرى، فان النضالات ضد آثاره كانت مجزئة ومستقلة نسبيا من حي سكني إلى آخر (Castells ,1975, p42).

6-2- المطالب الحضرية والفعل السياسي عند لجان المواطنة بمدينة كيبك

اعتبر كاتسلز أن لجان المواطنة التي ظهرت في مدينة كيبك شكلا من أشكال الحركات الاحتجاجية الحضرية، تمثلت القاعدة الاجتماعية لهذه اللجان في الطلبة والناشطين الاجتماعيين، وكان الأمر يتعلق بتأسيس تنظيم يمكنهم من تحقيق المطالب الاجتماعية والسياسية عبر الضغط الدائم على الإدارة، وأيضا هذه اللجان تعبير مؤسسي عن المصالح المحددة للموظفين، بالنسبة لبعض النشطاء لا سيما الطلاب وكذلك لأقلية من أعضاء لجان المواطنين، فإن .F.R.A.P هو من جعل الممكن تشكيل حركة جماهيرية، يمكن من خلالها خلق وتطوير تيار ثوري منفصل عن وطنية البرجوازية الصغيرة.(Castells ,1975, p54).

فشلت لجان المواطنة والناشطون من تحويل المطالب الحضرية إلى مطالب سياسية، نظرا لإكراهات السياق الاجتماعي والاقتصادي، لكن التنظيم الجديد الذي يحاول إعادة إنعاش النضال الحضري، يأخذ بعين الاعتبار الإخفاقات السابقة في محاولة التعبير عن المطالب الحضرية والتعبئة السياسية، يدرك المناضلون الآن أنه لا يمكن الخلط بين مجال التدخل والشروط الملموسة للارتباط بالجماهير في النضال السياسي، والأسس السياسية لتأسيس منظمة ما" (Castells ,1975, p66).

6-3- الحركات الاحتجاجية الايكولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية

يعد الحفاظ على البيئة بمثابة أيديولوجية جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية، مطلب شعبي جديد مليئ بالإمكانات الثورية، لذلك طرح كاستلز سؤالا: كيف تصبح الحركات البيئية أدوات للتكامل أو النزاع في المجتمع الحديث؟ يرى أن القاعدة

الاجتماعية لهذه الحركات الاحتجاجية الايكولوجية تتمثل في الطلاب وشرائح الطبقة الوسطى، حيث كانت المصالحة الكبرى بين الدولة والطلاب المحتجين في احتفائية يوم الأرض(22 أبريل 1970)، شارك ملايين الناس في هذا اليوم، وكان الطلاب في الطليعة، كانت مظاهرات عامة كبيرة في جميع أنحاء البلاد، تدعو لحماية الطبيعة من خلال الخير والمواطنة (Castells ,1975, p78).

فهذا النقد الايكولوجي يضفي بعدا طبيعيا على التناقضات الاجتماعية، يختزل حركة التاريخ في علاقة الإنسان بالطبيعة، وهذا ما يجعل الخطاب حول موضوع البيئة يلفه الغموض الأيديولوجي، فتعبر حركات البيئة عن التناقضات الاجتماعية الحقيقية التي تعيشها يوميا الجماهير، لكن عدم ربطها بالسياسية؛ هو ما يجعلها حركات احتجاجية بدون عناصر ثورية (Castells ,1975, p89).

6-4- حركة ببلادوريس في تشيلي: من النضال الحضري إلى النضال الثوري

بعد الإطاحة بالطبقة الاولغارشية في الشيلي سنة 1970، ظهرت حركات احتجاجية حضرية جديدة، عرفت هذه الحركة باسم البابلدوريس، وهي حركة تتشكل من الفئات السكانية التي احتلت الأراضي العمرانية وحولتها إلى مخيمات سكنية، وهي حركة أخذت مع الوقت طابعا سياسيا، ونجد في عمقها الحركة الديمقراطية المسيحية، الوحدة الشعبية والحركات السياسية (Castells ,1975, p93).

الاحتلال غير القانوني للأراضي الحضرية من طرف الفئات العمالية الفقيرة لا يعد فعلا فقط ضد النظام الحضري القائم، إنما نتيجة للأزمة البنيوية لمشكلة الإسكان الحضري الذي عرفته الشيلي، ترتبط هذه الحركة الحضرية ارتباطًا وثيقًا بالصراع بين مختلف القوى الاجتماعية، تعتمد بشكل كبير على جدلية الاندماج والقمع مع أجهزة الدولة، لذلك يظهر لنا التحليل بلغة كاستلز الأهمية الاجتماعية لاجتياح الأرض وبناء المخيمات السكينة وارتباطها بالعلاقات الطبقية والاستراتيجيات السياسية، فهذا هو السبب الرئيسي لتشكل حركة الببلادوريس في تشيلي، فيجد المرء فيها بوضوح أكبر تجربة تاريخية ملموسة للظروف الاجتماعية للتعبير الحضري والسياسي والثوري، في شكل حركة اجتماعية حضرية، ولفهم الظروف التي أدت إلى انبثاقها علينا أن فهم تطور الصراع الطبقي والاستراتيجيات السياسية في السنوات الأخيرة(Castells ,1975, p94).

طورت هذه الحركة الاحتجاجية الحضرية علاقاتها مع النقابات العمالية والحركة الشعبية في الشيلي، وتمكنت من تحقيق بعض المكاسب كتحسين خدمات المخيمات السكنية من حيث الاستهلاك الجماعي (الإسكان، المعدات، الصحة، إلخ)، كما تظهر الممارسات اليومية قدرة سكان المخيمات السكنية على المشاركة في الفعل الاحتجاج الخارجي، حتى في حالة المخيمات السكينة ذات التسييس المحدود، مما يدل على التطابق بين الاندماج في حركة الاحتجاج والقدرة على التعبئة التلقائية في جبهة النضال المشترك (Castells ,1975, p107).

إن واقع المخيمات السكينة العشوائية التشيلية في عام 1971 هو حقيقة متنوعة، فيرى كاستلز أنها مجتمعات سهلة التعبئة، لكنه لاحظ أن هناك موارد اجتماعية تسهم في تحول ممارسات الاحتجاجات الحضرية وتتحدد في الطابع الموضوعي للمطالب الاحتجاجية، "فهذا هو السبب في أن مستقبل المخيمات السكينة يعتمد بدرجة أقل على تطورها بقدر ما يعتمد على الديناميكيات العامة للصراع الطبقي في تشيلي؛ التي هي أحد مكوناته (Castells ,1975, p115).

6-5- الحركات الاجتماعية الحضرية في عصر الانترنت

رغم انهمام كاستلز بإشكالية الاتصال في مطلع التسعينات من القرن المنصرم وابتعاده عن دراسة السياسات الحضرية، إلا أن الحركات الاحتجاجية الحضرية حجزت لها مكانا في مشروعه التواصلي الجديد، حيث قدم قراءات سوسيولوجية لنشأة

الحركات الاحتجاجية في زمن الانترنت والوسائط الاجتماعية الجديدة، "فاستخدام الانترنت وشبكات التواصل المتنقلة لخدمة الحركات الاحتجاجية، سواء داخل المجتمع المحلي أو التواصل مع حركات أخرى في العالم (كاستلز ,2017، ص32).

يرى كاستلز أنها تتميز بخمسة خصائص رئيسية؛ تجعلها تختلف عن الحركات الاحتجاجية التي درسها في السبعينات من القرن الماضي، وهي:

- لا يحتاج هذا النمط من الفعل الاحتجاجي الى قيادة رسمية أو إلى مركز للسيطرة أو إلى منظمة لتوزيع هذه الحركات في زيادة فرص مشاركة الناس وقلت من تعرضها للخطر سواء من خصومها أم من تعقيدات البيروقراطية" (كاستلز ,2017، ص249).
- انتقلت هذه الحركات من الفضاء الشكبي المعتمد على الانترنت الى الفضاء الحضري، وذلك باحتلالها الميادين العامة وانتقالها إلى التظاهر في الشوارع الرئيسية: (كاستلز ,2017، ص32-33).
- تعبر هذه الحركات الشبكية الهجينة حركات محلية وعالمية، " أنشأت حيزها للخلاص بواسطة احتلال الميادين المحلية، وحيزها العام من خلال التواصل والتفاعل مع الحركات الاحتجاجية في أنحاء متفرقة من العالم" (كاستلز ,2017، ص250).
- تشترك هذه الحركات الشبكية في أنها عفوية التكوين والنشأة، قائمة على الاستقلالية من تأثير خارجي .
- تعتبر هذه الحركات الشبكية، التي مثلت الغضب والأمل لدى الناس، حركات عامة بلا قيادة زبلا برامج واضحة للعمل الاحتجاجي (كاستلز ,2017، ص32).

7- الخاتمة:

نشير في خاتمة هذه الورقة البحثية إلى الاستنتاجات العامة التي خلصنا إليها:

- بينت أن النظرية الايكولوجية التي فسرت الظواهر الحضرية بالتركيز على تأثير البيئة على سلوك الإنسان الحضري، اعتبرها كاستلز بمثابة تزييف أيديولوجي للحقائق الحضرية، عملت على طمس المشكلات الحضرية الحقيقية، وأنها لم تقدم تحليل سوسيولوجي للمدينة الحديثة وانما اكتفت بدراسة ظواهر التكيف والاندماج الاجتماعي للأفراد في الوسط الحضري، وبالتالي، لم يكن مبتغاها معرفيا خالصا، وإنما كان غرضها توليد معرفة تساهم في الضبط الاجتماعي للأفراد في المدينة، كما أن النتائج الميدانية التي خلصت إليها مدرسة شيكاغو تتعلق فقط بالمدن الامريكية ولا تحمل هذه المعرفة السوسيولوجية أي طابعا كونيا.
- وضحت أن مفهوم الثقافة الحضرية الذي يعد موضوع البحث في السوسيولوجيا الحضرية من منظور مدرسة شيكاغو، يرى كاستلز أن هذا المفهوم لا يملك أي خصوصية معرفية ولا علاقة له بالواقع الحضري، واقترح بديلا ممثلا في المجال الحضري، الذي يتكون من أبعاد مادية وثقافية واجتماعية ورمزية، يتولد في سياقات تاريخية متباينة.
- تناولت نقد كاستلز لمفهوم التحضر، الذي تم اختزاله وفق المقاربة الايكولوجية في تركز السكان في مجال جغرافي وانتشار نوع معين من قيم الثقافة الحضرية، في حين، التحضر ظاهرة عرفتها المجتمعات البشرية في مراحل تاريخية مختلفة، وبالتالي تختلف مقاربة التحضر بحسب السياق التاريخي والحضاري، فالتحضر الذي عرفته الدول النامية يختلف جذريا عن التحضر الذي خبرته الدولة المتقدمة.

- أبرزت أن كاستلز يفترض أن هناك علاقة ارتباطية بين المشكلات الحضرية والحركات الاحتجاجية الحضرية، والمشكلات الحضرية متولدة من التناقضات الاجتماعية التي تنطوي عليها الأبنية الاجتماعية الحضرية، لذلك تقوم الفئات الهامشية والفقيرة والعمالية والمهاجرة بحركات احتجاجية لاسترداد حقوقها داخل المدينة الحديثة، إلا أن هذه الحركات الاحتجاجية ليس لها تأثير سياسي واضح.

- قائمة المراجع:

عبد الرحمن المالكي. (2016). مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، المغرب: افريقيا الشرق.

لويس ألتوسير.(1972). قراءة رأس المال، ترجمة: تسير شيخ الأرض. سوريا: منشورات وزارة الثقافة.

لويس ممفورد. (2016). المدينة على مر العصور، اصلها وتطورها ومستقبلها، الجزء الثاني، ترجمة: حسين نصار، مصر: المركز القومي للترجمة.

مانويل كاستلز. (2017). شبكات الغضب والامل: الحركات الاجتماعية في عصر الانترنت، ترجمة: هايدي عبد اللطيف،. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات.

Castells Manuel. Structures sociales et processus d'urbanisation : analyse comparative intersociétale. Annales. Economies, sociétés, civilisations. 25e année, N. 4, 1970.

Castells Manuel. Structures sociales et processus d'urbanisation, Annales , 1970.

Castells Manuel. Théorie et idéologie en sociologie urbaine, Sociologie et sociétés. V 1, n2, 1969

Castells Manuel. Vers une théorie sociologique de la planification urbaine. Sociologie du travail, 11e année n°4, 1969.

Castells Manuel. Y a-t-il une sociologie urbaine ? Sociologie du travail, 10e année, n°1,1968.

Grafmeyer Yves.(1994). Sociologie urbaine. Paris, Nathan Université (128/Sociologie).

Henri Lefebvre. (1970). La Révolution urbaine , Paris, Gallimard.

Louis Wirth, Urbanism As A Way of Life. American Journal of Sociology, vol. 44, 1938.

Manuel Castells. (1975). luttes urbaines et pouvoir politique, Paris, François Maspero.

Manuel Castells. Francis Godard,(1974). Monopolville - Analyse des rapports entre l'entreprise, l'État et l'urbain. Paris , La Haye. Mouton.

Manuel Castells.(1981). La question urbaine, Paris, François Maspero.

Paul-Henry Chombart de Lauwe. (1952). Paris et l'agglomération parisienne. L'espace social dans une grande cité - Méthodes de recherches pour l'étude d'une grande cité, Paris, PUF.

Paul-Henry Chombart de Lauwe.(1982) . La fin des villes, mythe ou réalité, Calmann-Lévy.

Redfield, R. (1941). The folk culture of Yucatan. Univ- Chicago Press .

Sjoberg.G. (1960). The pre-industrial city, past and present, N ,Y, the free press.

Vincent Kaufmann. (2014). la ville. Motilités et transformations urbaine,Lausanne, Presses polytechniques et universitaires romandes.

Arabic-Romanized references:

Abd al-Raḥmān al-Mālikī. (2016). Madrasat Shīkāghū wa-nash’at sūsiyūlūjiyyā al-taḥaḍḍur wa-l-hijra, al-Maghrib: Ifrīqiyā al-Sharq.

Lūīs Altūsīr. (1972). Qirā’at rās al-māl, tarjamat: Tsīr Shaykh al-Arḍ. Sūriyā: Munsha’āt Wizārat al-Thaqāfa.

Lūīs Mumfūrd. (2016). Al-Madīna ‘alā marr al-‘uṣūr, aṣluhā wa-taṭawwuruhā wa-mustaqbaluhā, al-juz’ al-thānī, tarjamat: Ḥusayn Naṣṣār, Miṣr: al-Markaz al-Qawmī li-l-Tarjama.

Mānū’īl Kāstilz. (2017). Shabakāt al-ghaḍab wa-l-amal: al-ḥarakāt al-ijtimā‘iyya fī ‘aṣr al-Internet, tarjamat: Hāydī ‘Abd al-Laṭīf. Qaṭar: al-Markaz al-‘Arabī li-l-Abḥāth wa-Dirāsat al-Siyāsāt.